عروض موقعة

ادرس بذكاء وليس بجهد*

عرض
د. محمد سالم غنيم
مدرس المكتبات وعلم المعلومات
جامعة القاهرة – كلية الآداب

تمهيد

أن تكون شخصًا متعلمًا ناجحًا لم يعد مسألة اختيار أو أفضلية يمكن أن تتحلى بها. لقد أصبح ضرورة لكي تنجح في الاستمرار والازدهار في "عصر المعلومات"؛ فقد أصبح المستقبل ملكًا للمتعلمين، وملكًا للقادرين على استثمار ثورة المعلومات، فإيقاع هذا العصر أسرع من أي وقت مضى، فنحن نعيش عصر التغيير السريع، تغيير غير متوقع، تغيير في جميع الاتجاهات. فبعد مرور عام فقط نفقد حوالي ٢٠-٣٠% مما تعلمناه في الماضي وأدركناه عن عالمنا، وأصبحت معلوماتنا عتيقة وقديمة. فتدريب النفس على مهارات التعلم السليم هي أعلى المهارات التي يمكن أن يتعلمها الفرد من حيث القيمة. فلم يعد من الكافي الشعور بالحنين لأيام التعلم الأولى، واعتبارها من الماضي الذي لن يعود. فلكي ننجح في حياتنا في عصر المعلومات، لابد من امتلاك مفتاح النجاح؛ وهو التمرس والمهارة في اكتساب المعلومات والمعارف وجعلها جزءً منك، وجعلها مهارة حياة. وستكون هذه العملية متواصلة بلا توقف. عليك أن تتدرب على كيفية التعلم بشكل سليم، وعليك أن تحب عملية التعلم، وإلا ستتخلف للوراء وستضطر للكفاح طوال حياتك لمجرد البقاء.

الكتاب وغُلافه

يحمل هذا الكتاب على الغلاف الخارجي، وصفحة العنوان الداخلي أربع عبارات، تقول:

- ايقظ العَبقري الكامن بداخلك.
- تعلم كيف تتعلم.

(*) بول ، كيفين. ادرس بذكاء وليس بجهد.- ط١.- الرياض: مكتبة جرير، ٢٠١٧.- ٢١١ص.

- ضاعف من سعة ذاكرتك ١٠٠ مرة.
- نشط بطاريات عقلك.

تعد هذه العبارات الدعائية الأربع أهدافًا يطمح الكتاب لتحقيقها؛ وهي في الوقت نفسه جُمل دعائية تسويقية لها هدف فرعي هو التسويق للكتاب والترويج له.

جاء الكتاب في ٢١١ ص، ضم ١٨ فصلاً موزعة على أربعة أجزاء؛ الأول: مقدمة، والثاني: الأساسيات، والثالث: صندوق الأدوات، والرابع والأخير: أدوات التميز.

الجزء الأول: المقدمة:

يبدأ الكتاب بمقدمة شديدة الاختصار حول ثورة المعلومات والمعرفة وتأثيرها على حياتنا، يؤكد فيها على تضاعف المعلومات كل ستة أشهر، وأن معظم ما نتعلمه اليوم سيتحول بعد عامين فقط إلى معلومات عتيقة؛ لذا فثورة المعلومات مربكة لنا جميعًا في المنزل والمدرسة والعمل. هذا يتطلب أن نجعل من التعلم مهارة حياة.

ويؤكد المؤلف على ضرورة أن يتحلى كل منا بالثقة في النفس والشجاعة، فحل جميع مشاكلنا، والقلق الذي يتسرب إلينا، أقل مما نتصور، والحل يقع بين أذني كل منا، الحل يكمن في استخدام كل منا للمحرك الذى خلقه الله لنا ألا وهو العقل؛ فباستخدام العقل تلك الآلة العجيبة نستطيع التكيف والنجاح في ذلك العالم، ويتأتى ذلك بالاستمرار في تعلم أشياء جديدة كُل يوم، وكُل ما نحتاجه هو استثمار ذلك المحرك؛ وهذا يتأتى من خلال تعلم الأدوات والوسائل المعينة لتشغيل ذلك المحرك بقدر من الفعالية والكفاءة أعلى مما هو عليه الآن.

ويؤكد المؤلف على أن قوة العقل وقدرته على التعلم أشبه بالفضاء، وأن ما نستخدمه فعليًا شيء لا يذكر مقارنة بالقدرات الحقيقية له، تلك القدرات الكامنة غير المستغلة أشبه في اتساعها بالفضاء الذي لم يتم سبر أغواره بعد.

ويتساءل المؤلف ما الذي يتطلبه الأمر لنبدأ أولى خطواتنا نحو التفوق والنجاح الأكاديمي/ التحصيلي، ومن ثم النجاح في الحياة؟. يتطلب الأمر ثلاثة أشياء: (١) الرغبة/ الإرادة. (٢) الإيمان بقدراتنا. (٣) اكتشاف صندوق الأدوات السحري واستخدامه بفاعلية. وهذا ما تحدث عنه في ثنايا هذا الكتاب، وبالتحديد في الجزء الثالث منه.

ويختم المؤلف حديثه عن ثورة المعرفة بمقولة لتوماس أديسون تقول: "إن العديد من الفاشلين في هذا العالم هم هؤلاء الأشخاص الذين لم يدركوا مدى قربهم من النجاح لحظة استسلامهم للفشل".

وفى الفصل الثاني من القسم الأول، يؤكد على أنه داخل كل منا عبقري، يمكنه أن يتعلم أي شيء، ويكتسب أي مهارة، ما عليك فقط هو تحرير العبقري الذي بداخلك من قيوده، وستتفاجأ بالإمكانيات والقدرات الكامنة، فكل إنسان بداخله عبقري، وما نحتاجه هو إخراجه، وتحريره، واستثمار قدراته الكامِنة على التعلم وتحقيق نتائج دراسية مبهرة - فهناك وسائل للدراسة مرهقة وعديمة الفائدة.. وعلى النقيض من هذا هناك وسائل وأنماط للتعلم لا تساعدنا فقط على أن نكون

واسعي الاطلاع، ولكنها أيضًا تزيد من معدلات ذكائنا، وهذا الأمر لا يبدو مستحيلاً، فبالتعلم بالطريقة الصحيحة واستخدام الأدوات المقدمة في هذا الكتاب يمكنك تحقيق هذا الأمر.

تؤكد الأبحاث العلمية أن قضاء العديد من الساعات بلا نشاط أمام التليفزيون يقلل بالفعل من نسبة الذكاء. وإذا كانت نسبة الذكاء يمكن أن تتغير في الاتجاه السلبي، إذًا فمن المؤكد أنها تستطيع التحرك في الاتجاه الإيجابي أيضًا. ويؤكد المؤلف على أن ما نستخدمه من قدرتنا العقلية يتراوح بين ٢-١٠% فقط ؛ لذا عليك أن تتخيل ما يمكن أن تقدر عليه إذا تعلمت كيفية الوصول لبقية الإمكانيات الكامنة، حتى إذا تعلمت كيفية استخدام وتفعيل جزء صغير إضافي من المخزون الاحتياطي غير المستغل، فسيمكنك ذلك من تحقيق إنجازات كنت تحلم بها فقط.

والحقيقة أن كل منا يستطيع ذلك عبر اتباع "استيراتيجيات" وتمرينات "التدريب العقلي" التي سيزودك بها هذا الكتاب.

الجزء الثاني: الأساسيات:

يقدم الفصل الثالث من الكتاب: "إمكانيات عقلك المذهلة ونسبة ذكائك المدهشة" نظرة عامة بسيطة لطريقة عمل العقل، وبعض الوظائف البيولوجية له. ثم تقدم الفصول ٤، ٥، ٦ كيفية استخدام العقل في تحسين وتنمية ثلاثة من أساسيات التعلم المبهر: الاستعداد، والذاكرة، والتركيز. ثم يقدم الفصل السابع ١٢ قاعدة لمهارات التعليم؛ وهي على الترتيب: (١) ثق بقدراتك، (٢) استعد، (٣) قم بتنظيم نفسك وعملك، (٤) قم بقضاء وقتك فى الأشياء المفيدة، (٥) حافظ على انضباطك، (٦) تحلِ بالإصرار والمثابرة، (٧) فرق تسد، (٨) يجب أن تصبح مرشحًا للمعلومات، (٩) تمرن على رفع جودة المخرجات مثلما تتمرن في المدخلات، (١٠) لا تخش أخطاءك، (١١) استغل كل ما تملك لتصنيع أدوات استذكار معاونه، (١٢) كن نشطًا.

وبهذا يكون هذا الجزء من الكتاب قد قدم استعراضًا موجزًا للنظرية التي يستند عليها، كما قدم المهارات الأساسية، وسلسلة من التدريبات العملية والاستيراتيجيات التي سوف تصبح نقطة للبداية لعلاقة الحب/ الألفة بين المتعلم وعملية التعلم نفسها على مسار الحياة.

الجزء الثالث: صندوق الأدوات:

يقدم هذا الجزء تلميحات عملية واستيراتيجيات يمكن وضعها موضع الاستخدام فورًا ودون إبطاء، إذا كنت في حاجة عاجلة لتحسين وتنمية منطقة معينة من مناطق الذكاء.

ولعل الأكثر أهمية بعد قراءة الكتاب وتطبيق ما فيه هو تحقق عددًا كبيرًا من النتائج الإيجابية لعل منها:

(١) تطوير ونشأة ما يمكن تسميته بصندوق الوسائل وتقنيات التعلم، التي يمكن أن تحقق النجاح في أي مهمة تعليمية تكلف بها.

(٢) تضاعف فعالية وكفاءة القدرة على التعلم لأربع أضعاف على الأقل.

(٣) مضاعفة سرعة القراءة، والقدرة على الفهم لضعفين، أو حتى ثلاثة أضعاف.

(٤) تنمية الدافع المستمر - وبلا توقف - لتحقيق الأهداف التعليمية.

(٥) تعلم كيفية استخدام الموسيقى وأساليب الاسترخاء القديمة لإعادة الشحن الذاتي بالطاقة لمواصلة التعلم والدراسة.

(٦) سيتعلم القارئ كيفية تطويع كل مهمة تعليمية مع الأسلوب الشخصي في التعلم للوصول إلى نتائج مدهشة.

وفي مقولة أخرى لتوماس أديسون حول العبقرية يقول فيها: "إن العبقرية عبارة عن ١% إلهام، و٩٩% عرق وجهد". يؤكد أديسون على العمل والجهد، وأن التوفيق يحالف المجتهدين، وهؤلاء الذين يعملون بدأب وإصرار، ويبذلون من وقتهم وجهدهم في الاتجاه الصحيح.

ونعود إلى القسم الثالث من هذا الكتاب والذي من المتوقع لمن يقرأه ويعمل بما فيه أن يجد فيه أفكارًا مفيدة وتلميحات قيمة سوف تؤتى ثمارها بشكل فورى. وسوف يقوم القارئ باكتشاف ذلك، والتمتع بأفضل النتائج إذا خصص بعض الوقت لملء "صندوق الأدوات" ببعض المهارات ووجهات النظر الجديدة في التعليم.

ويؤكد المؤلف على المسئولية الشخصية للمتعلم، ففي الماضي كان التعليم دومًا شيئًا يتم تلقينه، أو الدفع به نحو المتعلم؛ حيث اعتماد المتعلمين على أن يحلوا مستسلمين - وبشكل سلبي- متقبلين ما يلقي إليهم بواسطة المعلم، أو المدرب، أو الأستاذ. وإذا لم يتعلم الفرد فمن السهل أن نلقي باللوم على عدم كفاءة المدرس.

والآن وفي ظل ثورة المعلومات والمعرفة، فإن الأمر قد تغير كليًا. فعلى كل منا أن يتحمل مسئوليته الشخصية تجاه تعليمه. فأي شخص في سن المدرسة الثانوية أو أكبر سنًا يمكنه أن يدرك معهم التعلم الإيجابي. وكل شخص بلغ هذا العمر لديه أيضًا نوع من الخطط والتصورات التعليمية / التعلمية التي يمكنه استخدامها لتدريب نفسه على تلك الطرق والوسائل. فإذا لم يكن لديك خطة أو تصور لعملية التعلم، يجدر بك أن تخطط لإحداها، فدائمًا ما يوجد شيء ما يمكنك دراسته لتحسين وتدعيم مكانتك الدراسية، ودرجاتك، ومهاراتك، وقدراتك ومن ثم حياتك كلها.

وفى ختام هذا العرض لهذا الكتاب الممتع والشيق، والذي أنصح الجميع بقراءته وتطبيق ما فيه، أحب أن أؤكد كقارئ أنني أفدت منه الكثير، وتعلمت منه الكثير، وكشف لي أن كثيرًا مما أطبقه في العملية التعليمية، والذي اكتشفته بالتجربة أو الخطأ، أو علمه لي أبي (رحمه الله تعالى) أو أساتذتي في بداية التلمذة وحتى الآن، هو أمر له أصول وجذور علمية أصَّل لها هذا الكتاب.

وأخيرًا خرج الكتاب من حيث الشكل على نحو طيب بما يخدم النص، فكما كان المحتوى رائعًا جاء الشكل أيضًا رائعًا، ولا يفوتني إلا أن أقدم الشكر لصاحب فكرة ترجمة هذا الكتاب إلى العربية، وكذلك لمكتبة جرير التي نشرته، فهو بحق إضافة طيبة للمكتبة العربية في التربية والتعليم والتعلم والتفكير، والذكاء، وكيفية استثمار قدراتنا الكامنة باستثمار تلك الهبة التي وهبها لنا الله ألا وهي العقل.